الباب الأول

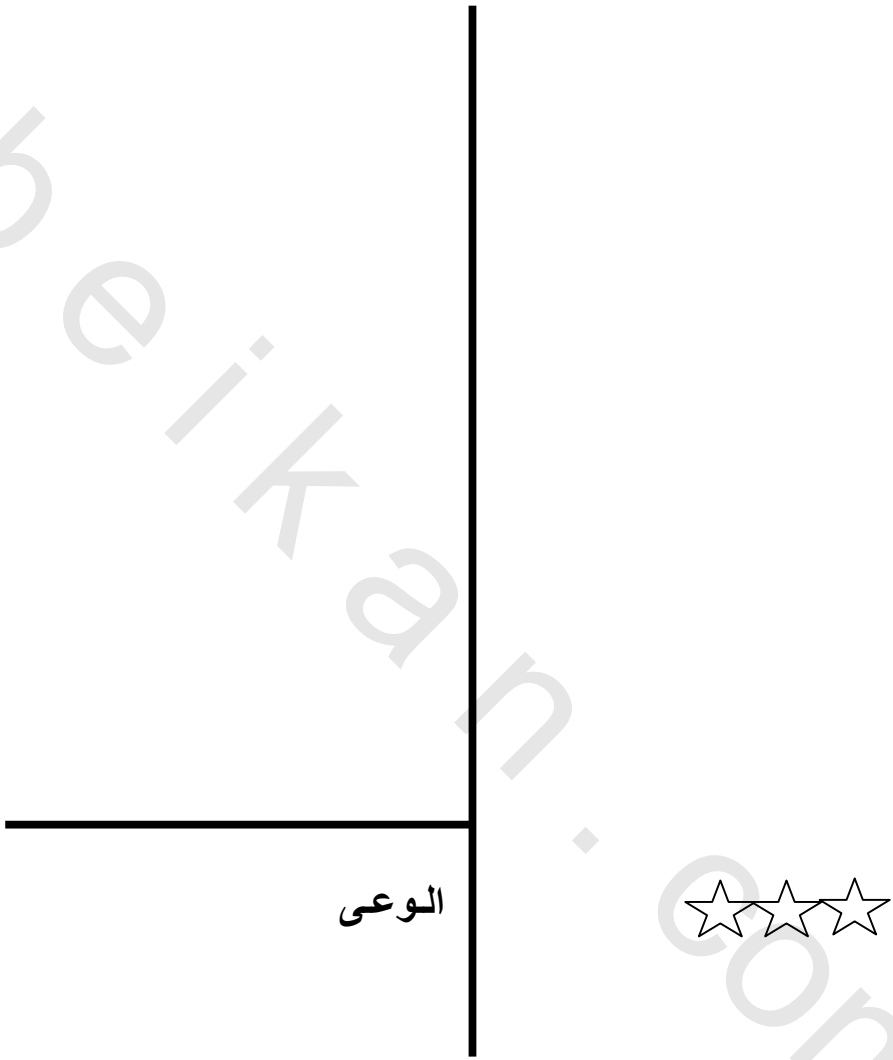

obeikan.com

obeikan.com

الوعي لغةً: من وعى، وهو الحفظ والفهم والقبول به، والإدراك، ويقال بأنّ الواعي هو الحافظ الكيّس والوعي اصطلاحاً هو حالة الإدراك التي يكون عليها العقل البشري، كما يصف الوعي مدى قدرة الفرد على الاتصال المباشر مع البيئة المُحيطة به بواسطة منافذ الوعي المتمثّلة بالحواس الخمس، ويصفه علماء النفس بأنه ما يتميّز به الإنسان من حالة عقلية بامتلاكه عدد من ملكات المحاكمة المنطقية والوعي نتاج التفرد ، لأن الوعي ذاتي ، وصحته مرتبطة بتمام تميز الذات ، كما أنه نتاج التفتح ، إذ لا وعي مع وجود مغلق ، وحس مقفول ، وعقل محصور ، والوعي نتاج الإيجابية ، إذ لا وعي مع حركة الوجود الفردي المتفاعلة المقبلة على الحياة.

<u>مكونات الوعي</u>

يعتبر الإعلام أقوى وسيلة لتشكل الوعي وتكوين الصورة الذهنية لدى المجتمع ففي دراسة أعدها كلا من د صفد الساموك ود اتنصار ابراهيم أكدا فيها أن وسائل الإعلام من أهم القنوات التي تسهم في تشكيل الصور الذهنية عند الناس وتكوينها، وتكتسب أهميتها بسبب انتشارها الواسع ويحصل الفرد على المعلومات والآراء من هذه الوسائل التي تساعده في تكوين تصور للعالم الذي يعيش فيه، كما تُعد من عوامل إدراك المعرفة لدى الجمهور حيث تقوم بتقديم المعلومات وتوجيهها بالطريقة

التي ترغب فيها ونظراً لأن الإعلام يعد أبرز المصادر الرئيسة التي يستقي منها الفرد معلوماته، لم يعد أدوات لنقل المعلومات فقط، بل أصبح أداة لتوجيه الأفراد والجماعات وتكوين مواقفهم الفكرية والاجتماعية، لذا فدوره لا يقف في صنع الصورة فقط بل بتنظيم هذه الصورة وطبعها في أذهان الجماهير مع ضرورة الأخذ في الحسبان أنه ليست كل المعلومات التي تصل تؤثر على بناء الصورة الذهنية لدى الفرد، إذ إن هناك معلومات قد لا تحظى باهتمام الفرد ويذهب عدد كبير من الباحثين إلى أن وسائل الإعلام تستطيع خلق آراء عن الموضوعات الجديدة، أن درجة وضوح الموضوع أو عدم ارتباطه بتجمعات أو تمركز الاتجاهات الموجودة تجعله قادراً على التغلب على الصعوبات التي تقف عادة أمام التحول ،أن يرفض وجهة النظر التي يسمعها حول موضوع جديد عليه، لأن عمليات الانتقاء لن تقف في تلك الحالة عقبة في وجه المعرفة، وان كان من غير المحتمل أن تعيين تلك العمليات رسالة الاتصال على تحقيق التأثير.

وتمارس وسائل الإعلام ثلاثة أدوار في خلق الصورة، وهذه الأدوار هي أن تكون ساحة أو طرفاً أو أداة لطرح التصورات، إذ تلجأ الحكومات والقوى السياسية المختلفة لاستخدام وسائل الإعلام كمساحة تطرح فيها تصوراتها وقد تكون فاعلاً له مفاهيمه وتصوراته، وقد تتداخل الحالات

الثلاث وتتفاعل لتصبح وسائل الإعلام ساحة وأداة وطرفاً في الوقت ذاته وتطور بناء دراك المعرفة للفرد وتطور شخصيته ككل داخل واقع اجتماعي معين قد يؤدي إلى إحداث ميل سيكولوجي أساسي يؤثر بدوره في بناء ومحتوى الصورة لديه ويذكر الدكتور محمد عبدالحميد : أن الفرد يحدد اتجاهه تجاه وسائل الإعلام من خلال الصورة الذهنية التي يرسمها في مخزون المعرفة لديه عن هذه الوسائل أو إحداها نتيجة الخبرة المتراكمة من اقترابه من هذه الوسائل وعلاقتها بالمدركات التي يختزنها الفرد في إطار خبرته كما أن عملية اختيار المعلومات المتناثرة من بحر المعلومات لتكوين الصور عن أمة لدى أمة أخرى عملية مهمة لسببين:

1- أن هذه المعلومات المتناثرة يختارها القائمون على وسائل الإعلام حسب أهوائهم السياسية، الأمر الذي يزيد من التغيير فى الصورة المشوهة أصلاً .

2- أن هذه الوسائل تدعي أنها تلعب دوراً تثقيفياً بين الجمهور .

ان ممارسة وسائل الإعلام الدور الرئيس في تشكيل الوعي وخلق الصور الذهنية في أذهان الجماهير، يعود كذلك إلى أنها النافذة التي تطل من خلالها الجماهير على الأحداث المحلية والدولية، لأنها الامتداد الطبيعي لأبصارنا وأسماعنا على حد قول مارشال ماكلوهان، ناهيك

عن قدرتها علي تضخيم هذه الصور بدرجة كبيرة وطبعها بقوة في الأذهان إلى درجة أن المتلقي يشعر في أحيان كثيرة أنه التقى فعلاً بالشخصيات التي تناولتها وسائل الإعلام رغم أنه لم يقابلها قط كما تقوم وسائل الإعلام بتبسيط المعلومات والمعارف الجديدة وتقدمها للجمهور في جرعات سهلة الهضم ونستطيع القول أن وسائل الإعلام المختلفة تؤثر في صناعة وعي وسلوك الأفراد من خلال تقديمها أفكار للفرد عن بيئته ونظرته لنفسه لذلك ظهرت في العصر الحديث مؤسسات إعلامية أنشئت من أجل تكوين الاتجاهات وصناعة الرأي العام لذا نلحظ تغير في مستوى وعي المجتمعات تبعاً لتغير وتطور متسوى أداء وسائل الإعلام وكلما كان توجيه تلك الوسائل نحو الأفضل فسوف تؤثر بشكل كبير على رقي ونهضة المجتمع .

مفهوم الوعي في الفلسفة

اعتبرت الفلسفة أنّ الوعي هو جوهر الإنسان وخاصيته التي تميزه عن باقي الكائنات الحيّة الأخرى، حيث أنّ الوعي يصاحب كل أفكار الإنسان وسلوكه، وهو ما يسمى الوعي التلقائي، كما أنه مرتبطٌ بمجموعة الأحاسيس والمشاعر التي تكمن في أعماق الذات وهذا ما يطلق عليه وعي سيكولوجي، ويظهر في الحياة العمليّة ويتجسد على شكل وعي سياسي أو أخلاقي على سبيل المثال وللوعي مظاهر وأشكال

عديدة، والدراسات النفسيّة والفلسفيّة قامت بوضعه موضع نقدٍ، واعُتبر من خلال تلك الدراسات غطاءٍ خارجي لا يمثل الجهاز النفسي العميق، بل يمثل فقط سطح الذات، أما اللاوعي فيمثل أعماق الذات الإنسانيّة وبنظرةٍ للوعي من ناحية فلسفيّة فإن الفيلسوف الإنجليزي جون لوك قد ربط حالة الوعي بالحواس الخمس.

فلسفة الوعي عند ديكارت :

يقول ديكارت بقدر ما نميز بين الرؤية المباشرة والرؤية المنعكسة بأن تلك الأولي تتوقف علي الأشعة وتتوقف هذه علي الثانية بقدر ما أن الأفكار البسيطة والأولى كالذين يشعرون بالألم لأن الريح نفخ أمعاءهم أو يشعرون باللذة لأنهم تغذو بمزاج لائقيمكنها أن تسمى أفكاراً مباشرة وغير منعكسة ، لكن عندما يشعر الرائد بشيء ما، ويدرك في الوقت نفسه بأنه لم يشعر فقط بالشيء ذاته فإنني أسمي هذا الإدراك الثاني انعكاسا .

حدود الوعى ومعوقاته

نضطر مكرهين للتعامل مع مايجري حولنا في حدود وعينا وهذا شيء لايمكن أن نُلام عليه بالطبع فهذا الوعي من المفترض أن يكون هو أقصى ماتوصل إليه إدراكنا وحواسنا ومعارفنا التي اكتسبناها على مدى

العمر سواءً كان هذا الإكتساب نمو حقيقي نتج عن معرفة حقيقية أم مجرد حشو في قدور مغلقة وهذه قضية أخرى ونحن ندرك أن العمر قصير جداً ويكاد لايذكر مقارنة بعمر الكون اكتشفنا مؤخراً بحكم التقدم العلمي أن هناك وعي أخر تشكّل أو يتشكّل خارج وعينا دعونا نطلق عليه الوعي الأكبر أو الوعي الجماعي وليكن وعينا هو الوعي الأصغر أو الوعي الفردي .

هذا الوعي الأكبر ينمو في محيط أخر قد يكون بعيد عن الإنسان وينمو شئنا أم أبينا ولادخل لنا به لكن من المهم جداً الإنتباه له وملاحظته فقد يكون من المفيد استبعاد المكونات البيئية المحدودة التي شكلت جزء صغير من الوعي الأصغر كالدين واللغة والعادات والتقاليد وكل المكونات التي تنمو في محيط صغير جداً يختلف هذا المحيط باختلاف المكان والزمان ونبقي فقط على مكونات الوعي التي يشترك فيها كل الناس من مختلف الثقافات والأديان والقوميات وخلافه .

إن عمر شجرة مثلاً ليس حكراً على ثقافة بعينها إلا أن عمر هذه الشجرة (العمر الحقيقي لها) هو المعّول الذي يشكل الوعي العام تجاه هذه الشجرة وهو مايمكن أن نشبهه بالوعي العام الذي ينمو بعيداً عن أية مؤثرات ذات مصالح أو مطامح ونلاحظ أننا كلما أغرقنا في ثقافتنا المحلية كلما ازددنا انعزالاً وانفصالاً ليس عن العالم الخارجي وحسب

إنما عن منظومات أخرى تعيش في نفس الوسط الذي نعيش فيه ونستطيع أن نلاحظ وبسهولة الإنقسامات المهولة التي تحدث بعد ذلك ومحاولة كل جماعة أو فئة الإحتفاظ بأكبر قدر من المقومات التي تجعلها تعيش أطول فترة ممكنة في خصوصية مطلقة سواءً كانت مقومات حقيقية أم مزيفة بغرض الإستمرار وحسب وهذا قد يشير إلى أهمية ملاحظة وعينا الأصغر وحدود إمكانياته والغذاء الذي يتغذى وينمو عليه وأنه ليس بالضرورة أن كل ما تشكل في وعينا هو عين الصواب بل قد نكون ضحايا لخدع تمثيلية وهمية لاتمت للحقيقة بصلة .

معوقات الوعي

1- النظرة أحادية الجانب ، فكل واحد يعتقد أنه هو الصواب، والحق معه والباطل مع غيره ، فيؤدي إلى اقصائه وإعدامه إعداماً معنوياً ، ومنه المنهج الانتقائي ، بحيث أنتقي مايعجبني وأتجاهل بقية الحقائق ، بينما منهج الوعاة يلخصه الإمام الشافعي بقوله : رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب .

2- اعتقاد عدم حرية الاختيار ، حينها يتهم الله والقدر والحظ العائر ، والنصيب ، وكأن كل مايحدث لادخل له فيه ، وأنه بريء وليس سبباً لما يحدث له ، ونسي قوله تعالى (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)، بينما الوعاة لايتهمون غيرهم ، بل يتحملون نتائج

خياراتهم ،مدركين أنهم سيسئلون ويحاسبون عن اختياراتهم يوم الحساب ، ولايُسئل من لا خيار له ، (وقفوهم انهم مسؤلون) .

3- الإسقاط ، وهو حيلة نفسية لاشعورية يلجأ اليها الإنسان حين يضغط ويحصر في زاوية ضيقة ، يخفف إحراجه وشعوره بالإخفاق ، فيسقط التهمة عن نفسه ويرمي بها غيره ، وهذا مريح لكن خطر ، لأنك لن تعترف بأخطائك وبالتالي لن تغيرها ولن تصلح من حالك فتصل إلى حالة الفناء وأنت لاتدري ، راقب ذلك في الحكومات والشعوب راقبه في نفسك وفي أهلك وأسرتك ، ستجد الفيروس مستشرياً .

4- التعميم ، ويقصد به جعل الأشياء عامة ومنتشرة ، فمثلاً لو رأيت منظراً سيئاً في شخص من جنسية معينة ، فالتعميم أن تقول كل الشعب الفلاني سيء ، وهذه آفة يقع فيها الفكر ، ويتولد منها مشاعر معممة ، والمشاعر تولد سلوكاً معمماً أيضاً ، الواعي دقيق لايعمم ، وجهات نظره للأشياء متوازنة ، لايتطرف، ربما لايوافق ولكن لايتطرف ، ولايتهم أحداً من الافراد والجماعات ، من الشعوب والحكومات ، من الأفكار والأيديولوجيات .

5- الاستهواء الأعمى ، ويقصد به التوّحد مع الأفراد وليس مع المبادئ ، فلو تأملت في ال 99 % من خلافاتنا العقدية والفكرية والتاريخية والمذهبية والعنصرية ، فستجد أن السبب هو الإستهواء الأعمى والطمع

وشهوة الرئاسة ، فتقديس الأشخاص ، وجعلهم رموزاً نفديهم بالروح والدم ، مبدأ غير إسلامي ، والوعاة يعرفون الحق بالرجال ، ولايعرفون الحق بالرجال.

6- قرار رد الفعل ، ولو تأملت التاريخ لوجدت أن أغلب الأمم والشعوب حكومات وأفراد ، يعمل أغلبهم بالسلوك الاندفاعي ، يتفشى بينهم الفوضى والفساد والقتال والحروب والكراهية والانتقام ، من يعمل برد الفعل يبدو قوياً في الظاهر ، لكنه ضعيف في العمق ، الواعي متقيظ يعمل بالفعل ، يملك قراره ، هادئ ، رصين ، إستراتيجي ، يعرف تبعات كل شيء .

مفهوم اللاوعي

كثيراً ما يقال : من المؤكد أنّه لم يكن واعياً حين قام بذلك ! هل يمكن حقاً أن يقوم الانسان بأي فعل بلاوعي أو إرادة منه ؟، وهل هناك علاقة بين الوعي واللاوعي في حياة الانسان ؟.

تحدث كثير من علماء النفس حول الوعي واللاوعي عند الانسان ،وإرتباطهما بحاجاته وغرائزه ومن ثم أفعاله وردود الفعل، وقد كان أول من تحدث عن هذه الفكرة بإسهاب النمساوي سيجموند فرويد، الذي إهتم بشكل كبير باللاوعي عند الانسان ،وعزا له معظم الأفعال التي يقوم بها

الانسان ،وحلل وفسر أرائه من خلال الاستدلال بالأحلام التي يراها الانسان في منامه فيما أكد علماء آخرين أن مايقوم به الانسان يكون بكامل إرادته ووعيه،وأن اللاوعي حجة لتبرير الغايات والسبل للوصول إلى أهدافه بطرق غير مشروعة ورغم هذه الآراء المتضادة حول الوعي واللاوعي عند الانسان إلا أنهما مرتبطان بشدة بالانسان وحاجاته وأحلامه، فالوعي الذي يمثل الشعور واليقظة بالنسبة للانسان ينفذ بطريقة ما أحلام اللاوعي والغيبة بشكل غير مباشر، عن طريق تحقيق الأحلام والأهداف التي نتمناها ونفكر فيها دائماً في اللاوعي وتلاحقنا في الوعي لتصبح حقيقة نعيشها وبغض النظر عن الأحداث والخبرات التي نكتسبها خلال ممارستنا للحياة، فهي مخزنة إما في الوعي فنستخدمها بشكل يومي، أو مخبأة في اللاوعي فنقوم بإستخراجها في حالات معينة من خزائن الذاكرة .

لكن أحياناً هذه الحاجات المخفية فينا تحاول عن طريق اللاشعور الظهور دون أن نكون مدركين أو دون أن نحاول إستخراجها، فتظهر عن طريق أساليب لاشعورية، قد تكون غير محببة أحياناً، وقد تسبب بعض الاضطرابات النفسية أو الانحرافات السلوكية التي لا يتقبلها المجتمع خصوصاً إذا ظهرت هذه الحاجات بشكل مفاجىء وصادم للانسان لهذا إهتم العلماء بتحليل وتفسير سلوك الانسان لمعرفة ماهيته وحقيقته، فقد يكون فى الظاهر يمثل حاجات معينة، وفي الباطن يخدم

حاجة أخرى، لكن من المهم عدم المبالغة في تحليل وتفسير أفعال الانسان حتى لا تتزايد الشكوك بين الناس وتعم الفوضى.

علاقة الوعي واللاوعي من المنظور العلمي السيكولوجي

انطلاقا من نظريته في التحليل النفسي يرى فرويد أن اللاشعور هو الأساس الحقيقي للحياة النفسية ومن تم فهو يدعو إلى عدم المبالغة في تقدير أهمية الشعور الذي لن يعدو كونه جزءاً ضيقاً من اللاشعور وحتى يؤكد فرويد الوجود النفسي اللاشعوري، فهو يعتبر الحلم علامة على تلك الاندفاعات الغريزية ذات الطابع الجنسي وعلى كل الأفكار أو الأشياء التي ترتكبها لعدم تلاؤمها مع مبدأ الواقع، وبذلك فإن الحلم بمثابة الطريق الملكي للاشعور الذي يسمح بتحقق رمزي تخيلي لبعض مكونات هذا الجانب النفسي اللاشعوري طالما أن الشعور لا يسمح بتحققها مباشرة.

وبتأكيد فرويد على أن المحدد الرئيس الشخصية هو اللاشعور فإن هذا يدفعها إلى التساؤل عما تبقى للذات باعتبارها واعية ومفكرة ومديرة وحرة.

المنظور الفلسفي.

مقابل أطروحة فرويد التي تؤكد حتمية المحددات اللاشعورية وأهميتها القصوى في الحياة النفسية بلور Alain أطروحة مضادة تعتبر أن ما يعتمل يختلج في أنفسنا وفي ذواتنا من أفكار وتصورات يرتد (يرجع) إلى الذات الفاعلة والواعية ومن ثم رفض هذا الكيان السيكولوجي الغريب الذي أبعد عنه نظرية فرويد وهكذا يعتبر Alain أنه إذا كان انسان غامضا وتخترقه ظواهر ملتبسة فإن هذا ما يتعين معرفته والبحث فيه بدلاً من زعم افتراضات خاطئة مؤسسة على مفهوم اللاشعور خاصة حينما يتحول هذا اللاشعور إلى أنا آخر غريب يسكننا على نحو غريب ليتأكد لدىAlain أن الإنسان لا يفتأ يمارس ذاته الفاعلة والحرة والمريدة ومهما تبدت أهمية الوعي وفاعليته لا يمكن له أن يعمل على تزييف وتشويه حقيقة الواقع بدل تقديمه كما هو بمعنى آخر لا يمكن أن يصبح هذا لاوعي بفعل الإيديولوجيا والفهم وعياً زائفاً ومشوهاً؟ .

الوعي و اللاوعي

إن انشغال الفكر الفلسفي بمسألة الإنسان لأن هذا الأخير قد حقق الطفرة الكبرى التي مكنته من تأمل العالم ووجوده في هذا العالم الواضح فالسؤال ما الوجود للفيلسوف الطبيعي طاليس (546-625 قبل الميلاد) يدشن لهذا التحول في علاقة الإنسان مع العالم الخارجي فيصبح هذا

موضوعاً للدهشة من التفكير الفلسفي فضلا عن ذلك، فقد أفضت دعوى سقراط إعرف نفسك بنفسك إلى جعل الإنسان وبقوة في قلب التفكير الفلسفي وإذ يحوز هذا الإنسان وجوداً طبيعياً يشترك فيه مع الحيوان، فهو في الوقت نفسه الكائن العاقل الذي يستطيع الوعي بوجوده وهو أيضاً الكائن المريد، الذي يمتلك اللغة التي لا تنحصر فى كونها وسيلة تواصل، بل تكشف من جهة أخرى عن البعد الاجتماعي فيه وحيث أن الإنسان ذاتاً واعيه وراغبة أو مريدة، فضلاً عن كونه ذاتاً متكلمة واجتماعية فكيف تتداخل هذه المحددات أي الوعي والرغبة واللغة والمجتمع.

ولئن تغايرت دلالات الوعي وتعددت فإنها ترتد إلى فاعلية خاصة بالإنسان وهي التفكير والوعي كخاصية إنسانية هو تلك المعرفة التي تكون لكل شخص بصدد وجوده وأفعاله وأفكاره فأن يكون الشخص واعياً ويتصرف طبقاً للمعرفة التي تحركه والعيش بوعي الوجود وهذا الازدواج هو الذي يميز الإنسان في حين أن الإنسان ولكونه، كائناً ذا عقل له وجود مزدوج فهو يوجد على نفس شاكلة الأشياء الطبيعية، لكنه ، من جهة أخرى، يوجد من أجل ذاته، يتأمل ذاته، يتمثلها ويفكر فيها، وهو لا يكون فكراً سوى لأنه فاعلية تشكل وجود الأصل ذاته.

إن الإنسان وإن تميز بخاصية الوعي فهذا لا يعني أنه ذاتاً واعية كلية وإذ يظهر في أحيان كثيرة أن الإنسان يكون محكوماً من قبل فاعلية لا واعية تتمثل في دوافع غريزية جنسية أو عدوانية، وفي أفعال غير واعية ومن هنا يمكننا تحديد اللاوعي بنحو سلبي باعتباره أمراً لا واعي أي كعدم الوعي لكن يمكننا أيضاً تحديد اللاوعي بنحو إيجابي أي باعتباره واقعاً نفسياً يملك نوعاً من الوظيفة أو الفاعلية وسمات خاصة في هذه الحالة يحيل اللاوعي إلى اكتشاف سيجموند فرويد الذي ينتمي للتحليل النفسي ويمكن أن نلاحظ أن التحديد السلبي للاوعي أوسع حيث يستعمل لفظ اللاوعي في صورة صفة أو حالة كما أن اللاوعي هو موضوع لتحديد العلم السيكولوجي فالوعي بدوره يظهر من الناحية السيكولوجية مثل النور(فنقول أن أفكارنا هي أقل أو أكثر وضوحاً بحسب درجة الوعي التي لدينا ومثل الفعل كالتوتر والانتباه .

ونتيجة لتضارب الدلالات ، التي تتراوح بين المرجع الفلسفي والعلمي حول مفهوم الوعي فكيف يمكن تحديد مفهوم الوعي وإذا كان الإنسان ذاتاً واعية وتخترقه في الوقت نفسه دوافع لاواعية ما هي العلاقة بين الوعي واللاوعي؟ وأيهما يتحكم في الذات؟ وإذا كانت وظيفة الوعي هي تقديم صورة حقيقية عن الواقع والذات، ألا يمكن أن يصير خاضعاً لمفعولات الوهم والإيديولوجيا فيتم تزييف وتشويه الواقع والحقائق؟.

التجارب المعملية حول الوعي

يعود تاريخ أول تجربةٍ مخبريّة على ظاهرة الوعي إلى سنة 1879 وهو تاريخ أوّل أبحاثٍ مخبريّة لعالم النفس الألماني ويلهم ماكس ويندیت، وكان يهدف من تلك الأبحاث لدراسة بنية وتركيبة الوعي، بكل مافيه من عناصر حسيّة وتصوّر وشعور وخيال وذاكرة وحركة وانتباه الخ من عناصر تعتبر امتداداً لحالة الوعي وكان يعتمد في تلك الأبحاث على عددٍ من التقارير الناتجة عن تجارب أفرادٍ في حياتهم اليوميّة، وقام العالم الأمريكي إدوارد برادفورد بتطوير هذا النوع من الأبحاث، وتوصّل إلى توصيف بنية العقل واستطاع تحديد أنواع التذوّق ومناطقها في اللسان، إضافةً إلى تقسيمها لأربعة أقسامٍ هي: الملوحة، والحموضة، والمرارة والحلاوة .

يرى ماركس أن الإنسان يتفوق على الحيوان ويتميز عليه بالوعي وهذا الوعي يبدأ بمجرد أن يبدأ الإنسان في إنتاج وسائل العيش، تلك الوسائل التي تتحدد بداية بظروف الطبيعة وإمكاناتها وعليه فعندما ينتج الناس هذه الوسائل يبدأون في ممارسة حياتهم المادية والعقلية ووفقاً لماركس، ليس وعي البشر هو الذي يحدد وجودهم، بل على العكس، يتحدد وعيهم بوجودهم الاجتماعي فالوعي هو نتيجة للتفاعل بين أنفسنا وعالمنا المادي المحيط بنا، لذلك فهو نتاج تاريخي والإنسانية كما يقول

ماركس تتأسس بواسطة العالم المادي، الذي فقط من خلال انخراطنا فيه نستطيع ممارسة قوتنا أو سلطتنا ويتم تأكيد واقعها.

الخصائص السيكولوجية للوعي

الوعي هو معرفة مختلفة الدرجة من حيث الوضوح والحدة ، حدس بالأحداث النفسية ، أو أنه هذه الحلات نفسها انهُ معرفة بالمؤثرات الداخلية والخارجية فلكل فرد وعي خاص، وحيد، ينفرد به ويتميز عن وعي الآخرين: وحتى أمام الشيئ الواحد فالوعي يختلف باختلاف الشخص الواحد من حيث بيئته، وثقافته، أعضاؤه، ماضيه، إهتماماته الآنية إلي آخره وليس الوعي عضواً، وليس هو إفرازا أو هرموناً كما أنهُ غير محسوس، ولاعياني، وغير قائم في مكان محدد.

- يقسم الوعي هنا، إلي : وعي (حالة المعرفة الواضحة والنور الجلي علي الأحداث والمؤثرات) ، تحت وعي (خارج المعرفة الواضحة تمام الوضوح ، لكنهُ غير بعيد جداً عنها) ، وإلي اللاوعي (حيث الظلام وعدم المعرفة والبعد عن الوعي) وهناك وسائل لدراسة الوعي ، منها الاستبطان ، فبه تعرف الحالات النفسية مثل الغضب ، الحزن ، تداعي المعاني الانسان ينكفئ علي ذاته لِيَصفَ أو يحلل خيالاته أو عواطفه وما إلي ذلك.

من هنا يمكن تشكيل محددات الوعي استناداً إلي عوامل النشأة ومستوى التعليم والثقافة العامة ،أي السائدة فلايمكن مقارنه وعي النشء في المملكة العربية السعودية، بالنشء في الدول المتقدمة ، فنظرة الناشىء للحياة في المملكة العربية السعودية، ليست نفسها، بالمقارنه لنظرة الناشىء في مدينة بوسطن، او كاليفورنيا، أو زيورخ ، أو جنيف ، أو باريس ، وكذلك الأمر بالنسبة للنش في مدينة تكريت (صلاح الدين) ، أو النجف الأشرف ، أو كربلاء المقدسة، أو قم ، أو بيروت ، فهنا نمط الحياة ، في مقوماته ، ودعائمه، وأهدافة مختلتف بينيا من حيث الأسلوب في التربية، والتكوين النفسي،وعملية التقويم الشخصي، ونمو مراحل البناء في مجال نسج العلاقة بين الطفل وأسرته ، وعلاقته بنفسه ومعرفته التفصيلية بها، في عملية متدرجه تأخد في الاعتبار قدراته المعرفية، وفق المراحل العمرية ومراعات قوته، وضعفة من خلال دراسة حالته النفسية، بشكل متأني وتشخيص ذلك عبر مختصين نفسيين في جميع المراحل التعليمية التي ينتقل فيها الطفل بشكل سلس ، وفق نظام رقابي صارم يعطي الأولوية للصحة النفسية لهُ ، في كل مراحل الحياة .

علمنة الوعي وعلمنة الدولة

ما هي علمنة الوعي؟ إذا كانت العلمانية بفتح العين والميم وتسكين اللام تشير إلى الحياة الدنيا بدلالتها الشاملة، تصبح العلمنة هي عملية الوعي بالقوانين والنواميس التي تحكم الحياة الدنيا الطبيعة والإنسان والمجتمع والتاريخ، وضرورة الاعتراف بها وبإكراهاتها، وبالتالي التعامل معها بما يحقق مصلحة الإنسان والمجتمع لكن عملية الوعي هذه ليست بالسهولة والبساطة التي يوحي بها هذا التعريف على العكس، علمنة الوعي هي عملية ثقافية اجتماعية سياسية طويلة ومتدرجة، مرت وتمر بصعوبات ومعوقات متعددة، منها ما يتعلق بدرجة التعليم والوعي، ومنها ما يتعلق بهيمنة أيديولوجيا، دينية أو غيرها، أو بحال سياسية تعرقل،أو تشجع صيرورة هذا الوعي والحقيقة أن علمنة الوعي بهذا المعنى هي في مقابل الوعي الديني، بما في ذلك الوعي المذهبي، عندما يتخذ صيغة أيديولوجية شاملة تهدف إلى السيطرة على وعي الإنسان، والتضييق عليه ليصبح في حال ارتياب من فكرة العلمنة ظاهرة العنصرية التي عرفتها الولايات المتحدة حتى ستينات القرن الماضي، وجنوب أفريقيا حتى أواخر القرن ذاته، كانت تستند إلى مبررات أيديولوجية دينية كانت العنصرية تقاوم عملية علمنة وعي المجتمع بالحقيقة الطبيعية للإنسان، وأن لون هذا الإنسان لا يعبر عن جوهره، ولا عن شخصيته في منطقتنا هناك حال الطائفية في الإسلام، وهي مثال آخر على وعي ديني منحرف،يجعل من المذهب الأصل في جوهر

الإنسان، وليس الإنسان بتكوينه وطبيعته وهذه الحال نعيش مأساتها الآن في العراق وسورية، بشكل خاص في كلتا الحالتين يسيطر وعي ديني منحرف ومتطرف، يضع حواجز وموانع أمام علمنة وعي الإنسان، ومن ثم الوعي الاجتماعي.

لكن العلمنة في واقع الأمر عملية لا تتوقف قد تتعثر، وقد تتباطأ، لكنها لم تتوقف في الماضي، ولن تتوقف في الحاضر هناك مثال التداوي بالسحر، أو الاستعانة بالجن، والتعاويذ، والخوف من العين، الخ هذه لا تزال موجودة، لكن انتشار الطب، ومؤسسات العلاج الحديثة مستمر، ويضيق من مساحة تلك المعتقدات والممارسات وهذه علمنة مستمرة، في موازاة ذلك الوعي الديني، أو لنقل الوعي المؤطر للدين مساحة التوازي هذه أوسع من ذلك بكثير فظهور الدولة كعلامة من علامات علمنة المجتمع يتوازى مع وعي ديني لدى الفرد الذي يعمل في الدولة، وفي المجتمع الذي يخضع لحكمها وهو وعي تخضع له الدولة، أو تستخدمه لمصلحتها السياسية كذلك انتشار التعليم، والشركات، والمصارف ، وأسواق الأسهم، والتأمين، ومؤسسات الإعلام، والثورات التكنولوجية التي لا تتوقف المشترك بين كل هذه العمليات وغيرها أنها تحتكم في سيرورتها إلى معطيات وقوانين دنيوية خالصة، لكن من دون أن يعني ذلك اختفاء الوعي الديني وتلاشيه .

الوعي انفتاح على العالم وعلى الآخرين

إن كانط يميز بين الوعي بالذات والمعرفة فهو يرى أن وعي الذات لنفسها كوجود أخلاقي لا يعني بالضرورة وعينا المطلق بالأشياء؛ لأننا نجهل الأشياء في ذاتها، ومن ثمة يظل وعينا بالأشياء وعياً نسبياً أما هوسرل فيرى على خلاف ذلك أن الوعي دائماً قصدي (وعي بشيء ما) فقد يكون الوعي تخيلاً، أو تذكراً، أو تفكيراً منطقياً إلا أنه يتجه دائماً صوب الشيء المفكر فيه ومن ثم فإن الوعي بالذات هو انفتاح على الذات من خلال قصد معين، والوعي بالعالم هو وعي قصدي للعالم ويحاول ميرلوبنتي أن يخرج الوعي من هذه النزعة الفينومينولوجية (الظاهراتية)، فيقول أن الوعي هو الذي يمنح للعالم معاينته التي يتجلى بها فالعالم كما هو في ذاته، فإن كل اتجاهاته وحركاته نسبية، الشيء الذي يعني أنه لا وجود لها فيه فالذات الواعية لا تستطيع هي كذلك أن تتمثل وعيها إلا بإسقاطها له في العالم، ومن ثم فهناك علاقة جدلية بين الذات والعالم: فبدون الذات يصبح العالم بدون أبعاد ولا جهات، وبدون العالم لا تستطيع الذات أن تتمثل نفسها كوجود متعال عن العالم هكذا نتمكن من القول أن الإنسان لا يستطيع أن يتمثل نفسه في غياب العالم دون أن يسقط في مذهب الأنا لكن ما هو دور الآخر في الوعي بالذات؟ يرى سارتر أن الآخر هو الذي يجعلني أعي ذاتي فأنا حين أكون لوحدي أحيى ذاتي ولا أفكر فيها، لكن بمجرد أن أرفع بصري فأرى الآخر ينظر

إلي أخجل من نفسي، لأنني أصبحت أنظر إلى نفسي بنظرة الآخر إلي فنظرة الآخر إذن هي التي تجعلني أعي ذاتي كشيء خارج عني فالآخر هو الوسيط الذي يجعلني أرى ذاتي وهكذا يكون الآخر الوجود الأساسي الذي يجعلني أجعل من ذاتي موضوعاً للوعي .

obeikan.com